ثم يقول تعالى :

﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا[1] أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

عندنا هنا اللام .. وقد تكون (اللام) للمِلْك كما فى الآية . وكما فى : المال لزيد ، وقد تكون للتخصيص إذا دخلتْ اللام على ما لا يملك ، كما نقول : اللجام للفرس ، والمفتاح للباب ، فالفرس لا يملك اللجام ، والباب لا يملك المفتاح . فهذه للتخصيص .

والحق سبحانه يقول هنا :

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴿٥٢﴾ ﴾ [النحل]

وفى موضع آخر يقول :

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ .. ﴿٦٨﴾ ﴾ [يونس]

وكذلك فى :

﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ .. ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر]

ومرة يقول :

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ .. ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة]

حينما تكون اللام للملكية قد يكون المملوك مختلفاً ففى قوله :

---

(١) وصب الشىء يصب وصوباً : دام ولزم فهو واصب : دائم لازم . أى : لا يتغير ولا يتبدّل . [القاموس القويم ٢/٣٣٩] .

﴿مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ .. (٥٢)﴾ [النحل]

يعنى : القدر المشترك الموجود فيهما . أى : الأشياء الموجودة فى السماء وفى الأرض .

أما فى قوله :

﴿مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ .. (٦٨)﴾ [يونس]

أى : الأشياء الموجودة فى السماء وليست فى الأرض ، والأشياء الموجودة فى الأرض وليست فى السماء ، أى : المخصّص للسماء والمخصّص للأرض ، وهذا ما يُسمُّونه استيعاب الملكية .

وما دام سبحانه له ما فى السموات وما فى الأرض ، فليس لأحد غيره مِلْكية مستقلة ، وما دام ليس لأحد غيره ملكية مستقلة . إذن : فليس له ذاتية وجود ؛ لأن وجوده الأول موهوبٌ له ، وما به قيام وجوده موهوب له .. ولذلك يقولون : مَنْ أراد أن يعاند فى الألوهية يجب أن تكون له ذاتية وجود .. وليست هذه إلا لله تعالى .

ونضرب لذلك مثلاً بالولد الصغير الذى يعاند أباه ، وهو ما يزال عَالةً عليه . فيقول له : انتظر إلى أن تكبر وتستقلّ بأمرك .. فإذا ما شَبَّ الولد وبلغ وبدأ فى الكَسْب أمكن له الاعتماد على نفسه ، والاستغناء عن أبيه .

لذلك نقول لمن يعاند فى الألوهية : أنت لا تقدر ؛ لأن وجودك هِبَة ، وقيام وجودك هِبَة ، كل شىء يمكن أنْ يُنزع منك .

ولذلك ، فالحق سبحانه وتعالى يُنبِّهنا إلى هذه المسألة فى قوله تعالى :

﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝ ﴾ [العلق]

فهذا الذى رأى نفسه استغنى عن غيره ـ من وجهة نظره ـ إنما هل استغنى حقاً ؟.. لا . لم يستغن ، بدليل أنه لا يستطيع أنْ يحتفظَ بما يملك .

قوله تعالى :

﴿ وَلَهُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ .. ۝ ﴾ [النحل]

الذى له ما فى السموات والأرض ، وبه قيام وجوده بقيوميته[1] ، فهو سبحانه يُطمئنك ويقول لك : أنا قيُّوم ـ يعنى : قائم على أمرك .. ليس قائماً فقط .. بل قيُّوم بالمبالغة فى الفعْل ، وما دام هو سبحانه القائم على أمرك إيجاداً من عَدَم ، وإمداداً من عُدم . إذن : يجب أن تكون طاعتُك له سبحانه لا لغيره .

وفى الأمثال يقولون « اللى ياكل لقمتى يسمع كلمتى » فإذا كنتَ أنت عالة فى الوجود .. وجودك من الله ، وإمدادك من الله ، وإبقاء مُقوِّمات حياتك من الله ؛ لذلك قال تعالى :

﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا .. ۝ ﴾ [النحل]

أى : هذه نتيجة ؛ لأن لله ما فى السموات والأرض ، فلَه الدين واصباً ، أى : له الطاعة والخضوع دائماً مستمراً ، ومُلْك الله دائم ، وهو سبحانه لا يُسلم مُلْكَه لأحد ، ولا تزال يد الله فى مُلْكه .. وما دام الأمر هكذا فالحق سبحانه يسألهم :

---

(١) القيوم : صيغة مبالغة من أسماء الله الحسنى لا يُوصف بها سواه . أى : دائماً شديد القيام والحفاظ على مخلوقاته . [القاموس القويم ٢/١٤٢] .

﴿أفغير الله تتقون (٥٢)﴾ [النحل]

والهمزة هنا استفهام للإنكار والتوبيخ ، فلا يجوز أنْ تتقىَ غير الله ، لأنه حُمْق لا يليق بك ، وقد علمتَ أن لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وله الطاعة الدائمة والانقياد الدائم ، وبه سبحانه قامت السماوات والأرض ومنه سبحانه الإيجاد من عَدَم والإمداد من عُدم .

إذن : فمن الحُمْق أنْ تتقى غيره ، وهو أوْلى بالتقوى ، فإنِ اتقيتُم غيره فذلك حُمْق فى التصرّف يؤدّى إلى العطَب والهلاك ، إنِ اغتررتم بأن الله تعالى أعطاكم نِعَماً لا تُعَدُّ ولا تُحصَى .

ومن نعم الله أن يضمن لعباده سلامة الملكَات وما حولها ، فلو سلِم العقل مثلاً سلِمت وصَحَّتْ الأمور التى تتعلق به ، فيصحّ النظام ، وتصحّ التصرُّفات ، ويصحّ الاقتصاد .. وهذه نعمة .

فالنعمة تكون للقلب وتكون للقالب ، فللقالب المتعة المادية ، وللقلب المتعة المعنوية .. وأهم المتَع المعنوية التى تريح القالب أن يكون للإنسان دينٌ يُوجِّهه .. أن يكون له ربٌّ قادر ، لا يُعجِزه شىء ، فإنْ ضاقتْ به الدنيا ، وضاقتْ به الأسباب فإن له رباً يلجأ إليه فيُسعفه ويكفيه ، وهذه هى الراحة الحقيقية .

وقد ضمن لنا الحق - سبحانه وتعالى - سلامة القالب بما أودع فى الكون من مُقوِّمات الحياة فى قوله :

﴿وقدّر فيها أقواتها[1] .. (١٠)﴾ [فصلت]

أى : اطمئنوا إلى هذا الأمر ، فالله سبحانه لا يريد منكم إلا أنْ

(١) أقواتها : هو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التى تزرع وتغرس . قاله ابن كثير فى تفسيره (٤/٩٣) .

تُعملوا عقولكم المخلوقة لله لتُفكِّروا فى المادة المخلوقة لله ، وتنفعلوا لهـا بالطاقة المخلوقة لله فى جوارحكم ، وسوف تجدون كلَّ شىء مُيسَّراً لكم .. فالله تعالى ما أراد منكم أنْ تُوجِدوا رزقاً ، وإنما أراد أنْ تُعملوا العقل ، وتتفاعلوا مع مُعْطيات الكون .

ولكن كيف يتفاعل الإنسان فى الحياة ؟

هناك أشياء فى الوجود خلقها الله سبحانه برحمته وفضله ، فهى تفعل لك وإنْ لم تطلب منها أن تفعل ، فأنت لا تطلب من الشمس أنْ تطلُع عليك ، ولا من الهواء أنْ يَهُبَّ عليك .. الخ .

وهناك أشياء أخرى تفعل لك إنْ طلبتَ منها ، وتفاعلتَ معها ، كالأرض إنْ فعلتَ بيدك فحرثْتَ وزرعْتَ ورويْتَ تعطيك ما تريد .

وفى هذا المجال من التفاعل يتفاضل الناس ، لا يتفاضلون فيما يُفعل لهم دون انفعال منهم .. لا بل ارتقاء الناس وتفاضُلهم يكون بالأشياء التى تنفعل لهم إنْ فعلوا .. أما الأخرى فتَفعل لكل الناس ، فالشمس والهواء والمياه للجميع ، للمؤمن وللكافر فى أىِّ مكان .

إذن : يترقَّى الإنسان بالأشياء التى خلقها الله له ، فإذا انفعل معها انفعلتْ له ، وإذا تكاسل وتخاذل لم تُعْطه شيئاً ، ولا يستفيد منها بشىء .. ولذلك قد يقول قائل : الكافر عنده كذا وكذا ، ويملك كذا وكذا ، وهو كافر .. ويتعجَّب من القدر الذى أعطَى هذا ، وحرَم المؤمن الموحد منه .

نقول له : نعم أخذ ما أخذ ؛ لأنه يشترك معك فيما يُفعل لك وإنْ لم تطلب ، ويزيد عليك أنه يعمل ويكدّ وينفعل مع الكون

وما أعطاه الله من مُقوِّمات وطاقة ، فتنفعل معه وتعطيه ، فى حين أنك قاعد لا همَّ لك .

وكذلك قد يتسامى الارتقاء فى الإنسان ، فيجعل الشىء الذى يُفعل له دون أن يطلب منه - أى : الشىء المسخَّر له - يجعله ينفعل له ، كما نرى فيما توصَّل إليه العلم من استخدام الطاقة الشمسية مثلاً فى تسخين المياه .. هذه الطاقة مُسخَّرة لنا دون جَهْد منّا ، ولكن ترقِّى الإنسان وطموحه أوصله إلى هذا الارتقاء .. وكُلُّ هذه نِعَم من الله ؛ ولذلك قال تعالى :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ[1] ﴿٥٣﴾ ﴾

أمدَّنا الله سبحانه بهذه النعم رحمة منه وفضلاً .. نعَم تترى لا تُعَد ولا تُحْصَى ، ولكن لرتابة[2] النعمة وحلولها فى وقتها يتعوَّدها الإنسان ، ثم يذهل عن المنعم سبحانه .

ونستطيع أن نضرب لذلك مثلاً بالولد الذى تعطيه مصروفه مثلاً كل أول شهر ، تجده لا يحرص على أنْ يلقاك بعد ذلك إلا كل أول شهر ، إنما إذا عوَّدته أن يأخذ مصروفه كل يوم تراه فى الصباح يحوم حولك ، ويُظهر لك نفسه ليُذكِّرك بالمعلوم .

إذن : رتابة النعمة قد تُذهلك عن المُنعم ، فلا تتذكره إلا حين

(١) جأر إلى الله عز وجل : تضرع بالدعاء . فيرفع صوته بالدعاء متضرعاً جزعاً . [لسان العرب - مادة : جأر] .

(٢) الأمر الراتب : الثابت الدائم . [لسان العرب - مادة : رتب] .

الحاجة إليه ؛ لذا يُنبِّهنا الحق تبارك وتعالى : إذا أعطيتُ لكم نعمة فإياكم أنْ تغتروا بها .. إياكم أن تُذهلكم النعمة عن المنعم ؛ لأنكم سوف تحكمون على أنفسكم أنه لا مُنعِم غيرى ، بدليل أننى إذا سلبْتُ النعمة منكم فلن تجدوا غيرى تلجأون إليه فستقولون : ياربِّ ياربِّ .

فأنت ستكون شاهداً على نفسك ، لن تكذب عليها ، فلِمَنْ تتوجّه إذا أصابك فقر ؟ ولمن تتوجَّه إذا أصابك مرض ؟ لن تتوجّه إلا إلى الله تقول : يارب .

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل]

فترة الضُّر التى تمرُّ بالإنسان هى التى تلفته إلى الله ، والحاجة هى التى تُلجئه إلى المصدر الحقيقى للإمداد ، فإذا كانت النعمة قد تُذهِله وتُنسيه ، فالضر يُذكِّره بربّه الذى يملك وحده كَشْف الضر عنه .

ولذلك ، فالناس أصحاب اليقين فى الله تعالى ساعةَ أنْ يصيبهم ضُرٌّ ، يقول : ذكَّرتنى بك ياربِّ ، يأخذها على أنها نعمة .. كأنها نجدة نجدتْه مما هو فيه من غفلة .. يا ربِّ أنت ذكّرتنى بك .. أنا كنتُ ناسياً ذاهلاً .. كنت فى غفلة .

وساعةَ أنْ يعودَ ويشعر بالتقصير يرفع الله عنه البلاء ؛ ولذلك يُرفع القضاء عن العبد إنْ رضى به وعلم أن فيه خيراً له .

ولذلك ، فالرسول ﷺ يُنبِّهنا لهذه الأحداث التى تصيبنا ، فإياكم أن تستقبلوها بالجزع والفزع .. ولكن استقبلوها بالإيمان والرضا ، واعلموا أن ربكم يغار عليكم ، وهو بهذه الأحداث يلفتكم إليه قهراً عنكم ؛ لكى تعودوا إليه وتلجأوا إليه .. لكى تقولوا يارب .

يقول رسول الله ﷺ عن رب العزة فى الحديث القدسى :

« مِنْ عبادى مَنْ أحبهم فأنا أبتليهم ليقولوا يارب... »[1] .

ويقول تعالى فى الآية الأخرى :

﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا[2] تَضَرَّعُوا .. (٤٣) ﴾ [الأنعام]

أى : أنه سبحانه يريد منا إذا نزل بنا بلاء وبأس أنْ نتضرّع إليه سبحانه ؛ لأن الضراعة إلى الله لَفْتة وتذكير به .. والنبى ﷺ يُرشدنا إلى هذه الحقيقة ، فالمصاب الحقيقى ليس مَنْ نزل به ضُرٌّ أو أصابه بلاء .. لا .. بل المصاب الحقيقى مَنْ حُرِم الثواب .

إذن : نقول لمن عنده نعمة : احذر أن تُنسيك النعمة وتُذهلك عن المنعم ، أما صاحب البلاء والضر ، فسوف يردُّك هذا البلاء ، ويُذكّرك هذا الضرّ بالله تعالى ، ولن تجدَ غيره تلجأ إليه .

فقوله تعالى :

﴿ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ﴾ [النحل]

أى : تضرَّعون بصراخ وصوت عالٍ كخُوار البقر ، لا يُسرّه أحد ولا يستحى منه أنْ يُفتضح أمره أمامَ مَنْ تكبّر عليهم .. ويا ليتكم حين ينتابكم مثل ذلك تعتبرون به وتتعظُون ، وتقولون فى لحظة من

---

(١) أورد المنذرى فى الترغيب (٤/٥٢٦) أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أحب الله عبداً أو أراد أن يصافيه صب عليه البلاء صباً ، وثجه عليه ثجاً ، فإذا دعا العبد قال : يا رباه . قال الله : لبيك يا عبدى لا تسألنى شيئاً إلا أعطيتك ، إما أن أعجله لك ، وإما أن أدخره لك » . ورمز الحافظ المنذرى له بالضعف .

(٢) البأس : العذاب والشدة فى الحرب والمشقة . [لسان العرب ـ مادة : بأس] .

اللحظات : سوف تلجئنا الأحداث إلى ربنا .. بل بالعكس حينما نكشف عنكم الضر سوف تعودون إلى ما كنتم عليه .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

فمن الناس مَنْ إذا أصابه الله بضُرٌّ أو نزل به بأسٌ تضرّع وصرخ ولجأ إلى الله ودعاه ، وربما سالتْ دموعه ، وأخذ يُصلّى ويقول : يا فلان ادْعُ لى الله وكذا وكذا .. فإذا ما كشف الله عنه ضُرّه عاود الكرّة من جديد ؛ لذلك قال تعالى فى آية أخرى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ .. ﴿١٢﴾ ﴾ [يونس]

ومن لُطْف الأداء القرآنى هنا أن يقول :

﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل]

أى : جماعة منكم وليس كلكم ، أما الباقى فيمكن أنْ يثبتُوا على الحق ، ويعتبروا بما نزل بهم فلا يعودون .. فالناس - إذن - مختلفون فى هذه القضية : فواحد يتضرّع ويلتفت إلى الله من ضُرٌّ واحد أصابه ، وآخر يلتفت إلى الله من ضُرّيْن ، وهكذا .

وقد وجدنا فى الأحداث التى مرّتْ ببلادنا على أكابر القوم أحداثاً عظاماً تلفتهم إلى الله ، فرأينا مَنْ لا يعرف طريق المسجد يُصلّى ، ومَنْ لا يفكر فى حج بيت الله ، يسرع إليه ويطوف به ويبكى هناك

عند الملتزم[1] ، وما ألجأهم إلى الله ولفتهم إليه سبحانه إلا ما مرَّت بهم من أحداث .

أليست هذه الأحداث ، وهذه الأزمات والمصائب خيراً فى حقهم ؟.. بلى إنها خير .

وأيضاً قد يُصاب الإنسان بمرض يُلِمّ به ، وربما يطول عليه ، فيذهب إلى الأطباء ، ويدعو الله ويلجأ إليه ، ويطلب من الناس الدعاء له بالشفاء ، ويعمل كذا وكذا .. فإذا ما كشف الله عنه المرض وأَذِن له بالشفاء قال : أنا اخترتُ الطبيب الحاذق ، الطبيب النافع ، وعملتُ وعملتُ .. سبحان الله !

لماذا لا تترك الأمر لله ، وتُعفِى نفسك من هذه العملية ؟

وفى قوله تعالى :

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾

[النحل]

صمام أَمْن اجتماعى فى الكون ، يقول للناس : إياكم أن تأخذوا على غيركم حين تُقدمون إليهم جميلاً فيُنكرونه .. إياكم أنْ تكفُّوا عن عمل الجميل على غيركم ؛ لأن هذا الإنكار للجميل قد فعلوه مع أعلى منكم ، فعلوه مع الله سبحانه ، فلا يُزهدك إنكارهم للجميل فى فعله ، بل تمسَّك به لتكون من أهله .

---

(١) يستحب الدعاء عند الملتزم بعد الشرب من ماء زمزم . قال عبدالله بن عمرو بن العاص : « رأيت رسول الله ﷺ يلزق وجهه وصدره بالملتزم » . أخرجه ابن عدى فى الكامل (٢٤١٨/٦) .

والحق تبارك وتعالى يضرب لنا مثلاً لإنكار الجميل في قصة سيدنا موسى عليه السلام :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا[1] مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب]

فقد اتهمه قومه وقعدوا يقولون فيه كذباً وبُهْتاناً ، فقال موسى : يا ربِّ أسألك ألاَّ يُقَال فيَّ ما ليس فيَّ .. فقال تعالى لموسى : أنا لم أفعل ذلك لنفسى ، فكيف أفعلها لك ؟

ولماذا لم يفعلها الحق سبحانه لنفسه ؟.. لم يفعلها الحق سبحانه لنفسه ليعطينا نحن أُسْوة في تحمُّل هذا الإنكار ، فقد خلق الله الخَلْق ورزقهم ووَسعهم ، ومع ذلك كفروا به ، ومع ذلك ما يزال الحق سبحانه خالقاً رازقاً واسعاً لهم .

إذن : في الآية تقنين وأمان للمجتمع أن يتفشى فيه مرض الزُّهْد في عمل الخير .

وقَوْل الحق سبحانه :

﴿ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل]

تشمل الآية مَنْ أنكر الجميل من المؤمنين ، ومن الكافرين .

ولكن لماذا يشركون ؟

---

(١) وذلك أن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً ، فآذاه قوم من بنى إسرائيل وقالوا : ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده ببرص أو غيره ، فأراد الحق أن يبرئه مما قالوا ، فبعد اغتساله أراد أن يرتدى ثيابه ، فذهب بها الحجر بعيداً حتى جاء على ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله ، أخرجه البخارى فى صحيحه والترمذى فى سننه من حديث أبى هريرة . ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٦/٦٦٥) .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٥٥ ﴾

أى : مُسْتعظمين كقارون الذى قال :

﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِى .. ٧٨ ﴾ [القصص]

أخذتُ هذا بجُهْدى وعملى .. ومثله مَنْ تقول له : الحمد لله الذى وفَّقك فى الامتحان ، فيقول : أنا كنت مُجداً .. ذاكرتُ وسهرتُ .. نعم أنت ذاكرتَ ، وأيضاً غيرك ذاكر وجَدَّ واجتهد ، ولكن أصابه مرض ليلة الامتحان فأقعده ، وربما كنت مثله .

فهذه نغمة مَنْ أنكر الفضل ، وتكبَّر على صاحب النعمة سبحانه .

وقوله :

﴿ لِيَكْفُرُوا .. ٥٥ ﴾ [النحل]

هل فعلوا ذلك ليكفروا ، فتكون اللام للتعليل ؟ لا بل قالوا : اللام هنا لام العاقبة .. ومعناها أنك قد تفعل شيئاً لا لشىء ، ولكن الشىء يحدث هكذا ، وليس فى بالك أنت .. إنما حصل هكذا .

ومثال هذه اللام فى قوله تعالى فى قصة موسى وفرعون :

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا .. ٨ ﴾ [القصص]

ففرعون حينما أخذ موسى من البحر وتبنَّاه وربَّاه ، هل كان يتبنَّاه ليكونَ له عدواً ؟ لا .. إنما هكذا كانت النهاية ، لكى يثبت الحق سبحانه أنهم كانوا مُغفَّلين ، وأن الله حالَ بين قلوبهم وبين

ما يريدون .. إذن : المسألة ليستْ مرادة .. فقد أخذْته وربَّيته فى الوقت الذى تقتل فيه الأطفال .. ألم يخطر ببالك أن أحداً خاف عليه ، فألقاه فى البحر ؟!

لذا يقول تعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ[1] بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .. (٢٤) ﴾ [الأنفال]

وكذلك أم موسى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ .. (٧) ﴾ [القصص]

كيف يقبل هذا الكلام ؟ وأنَّى للأم أن ترمى ولدها فى البحر إنْ خافت عليه ؟! كيف يتأتَّى ذلك ؟! ولكن حالَ الله بين أم موسى وبين قلبها ، فذهب الخوف عليه ، وذهب الحنان ، وذهبت الرأفة ، ولم تكذِّب الأمر الموجَّه إليها ، واعتقدت أن نجاة وليدها فى هذا فألقتْه .

وقوله : ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥) ﴾ [النحل]

أى : اكفروا بما آتيناكم من النعم ، وبما كشفنا عنكم من الضر ، وتمتعوا فى الدنيا ؛ لأننى لم أجعل الدنيا دار جزاء ، إنما الجزاء فى الآخرة .

---

(١) حال بينهما يحول : حجز وفصل . ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ .. (٢٤) ﴾ [الأنفال] أى : أن الله يملك أن يعرف قلب الإنسان ويغيِّر نيته كما يريد ، فالمرء لا يملك قلبه ، وإنما الله هو الذى يملكه . [القاموس القويم ١/ ١٧٩] .

وكلمة ﴿ تَمَتَّعُوا ﴾ هنا تدل على أن الله تعالى قد يُوالى نِعمه حتى على مَنْ يكفر بنعمته ، وإلاّ فلو حَجَب عنهم نِعمه فلن يكون هناك تمتُّع .

ويقول تعالى :

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)﴾ [النحل]

أى : سوف ترونَ نتيجة أعمالكم ، ففيها تهديد ووعيد .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)﴾

أى : الذين يكفرون بالله ويتخذون الأصنام والشركاء ، يجعلون لها نصيباً

وقول الحق سبحانه :

﴿لا يَعْلَمُونَ .. (٥٦)﴾ [النحل]

ما العلم ؟

العلم أن تعرفَ قضية ، هذه القضية صدْق أى : مطابقة للواقع وتستطيع أن تُدلّل عليها ، فإذا اختلّ واحد منها لم تكُنْ علماً .. وهؤلاء حينما جعلوا للأصنام نصيباً ، فقد أتَوْا بأشياء لا وجودَ لها فى الواقع ولا فى العلم ، وليست حقائق .. وهل للأصنام وجود ؟ وهل عليها دليل ؟

قال تعالى :

﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ .. (٢٣)﴾ [النجم]

هذه الأصنام ليست لها وجود في الحقيقة ، وفي آية أخرى يقول الحق سبحانه :

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)﴾ [الأنعام]

حتى لمَّا جعلوا للأصنام نصيباً جعلوه مما رزقهم الله ، ألاَ جعلتم نصيب الأصنام مما تعطيكم الأصنام ؟ ونصيب الله مما رزقكم الله ؟ فهذا اعتراف منكم بعجز أصنامكم ، وأنكم أخذتم رزق الله وجعلتموه لأصنامكم .

وهذا دليل على أن الأصنام لا تعطيكم شيئاً ، وشهادة منكم عليهم .. وهل درت الأصنام بهذا ؟

إذن :

﴿لِمَا لا يَعْلَمُونَ .. (٥٦)﴾ [النحل]

أي : للأصنام ؛ لأنها لا وجودَ لها في الحقيقة ، وهم يأخذون ما رزقناهم ، ويجعلونه لأصنامهم .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ (٥٦) [النحل]

التاء هنا فى ﴿ تالله ﴾ للقسم : أى : والله لَتُسْأَلُنَّ عما افتريتم من أمر الأصنام . والافتراء : هو الكذب المتعمد .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ[1] سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (٥٧)

ساعة أنْ تسمع كلمة ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ فاعلم أنها تنزيهٌ لله تعالى عمَّا لا يليق ، فهى هنا تنزيهٌ لله سبحانه وتعالى عما سبق من نسبة البنات له .. تعالى الله عن ذلك عُلواً كبيراً .. أى : تنزيهاً لله عن أن يكونَ له بنات .

فهل يمكن أن يكون له أولاد ذكور ؟

إنهم جعلوا لله البنات ، وجعلوا لأنفسهم الذكور ، وهذه قسمة قال عنها القرآن الكريم :

﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) ﴾ [النجم]

أى : جائرة .

لم تجعلوها عادلة ، يعنى لى ولد ولكم ولد ، ولى بنت ولكم بنت ، إنما تجعلون لله مَا تكرهون وهى البنات لله ، وتجعلون لكم ما تحبون .. لذلك كان في جَعْلهم لله البنات عيبان :

---

(١) قال القرطبى فى تفسيره (٣٨٤١/٥) : « نزلت فى خزاعة وكنانة ، فإنهم زعموا أن الملائكة بنات الله » .

الأول : أنهم نَسَبُوا لله الولد ـ ولو كان ذكراً فهو افتراء باطل يتنزه الله عنه .

الثانى : أنهم اختاروا أخسَّ الأنواع فى نظرهم .. ولا يستطيع أحد أن يقول : إن البنات أخسُّ الأنواع .. لماذا ؟

لأن بالبنات يكون بقاء النوع ؛ ولذلك قال العباس : لو سمع الله ما قال الناس فى الناس لما كان الناس .. أى : لو استجاب الله لرغبة الناس فى أنهم لا يريدون البنات فاستجاب ولم يُعْطهم .. ماذا سيحدث ؟ سينقطع النسل ، فهذا مطْلَب غبىّ ، فالبنت هى التى تلد الولد ، وبها بقاء النوع واستمرار النسل .

وقوله تعالى :

﴿ سُبْحَانَهُ .. (٥٧) ﴾ [النحل]

أى : تنزيهاً له أن يكون له ولد ، وتنزيهاً له سبحانه أن يكون له أخسّ النوعين فى نظرهم وعرفهم ، وقد قال عنهم القرآن فى الآية التالية :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ .. (٥٩) ﴾ [النحل]

ولذلك فالحق ـ تبارك وتعالى ـ حينما يُحدّثنا عن الإنجاب يقول :

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا .. (٥٠) ﴾ [الشورى]

أول ما بدأ الحق سبحانه بدأ بالإناث .. ثم أعطانا هذه الصور من الخَلْق : إناث ، ذكور ، ذكور وإناث ، عقيم .. إذن : هِبَات الله تعالى

لها أربعة أنواع ، ومن هنا كان العُقْم أيضاً هبةً من الله لحكمة أرادها سبحانه .. لكن الناس لا تأخذ العُقْم على أنه هِبَة .. لكن تأخذه على أنه نقْمة وغضب .

لماذا ؟ لماذا تأخذه على أنه نقْمة وبلاء ؟ فربما وهبك الولد ، وجاء عاقّاً ، كالولد الذى جاء فتنة لأبويْه ، يدعوهما إلى الكفر[١] .

ولو أن صاحب العقم رضى بما قسمه الله له من هبة العقم واعتبره هبة ورضى به لرأى كل ولد فى المجتمع ولده من غير تعب فى حَمْله وولادته وتربيته . فيرى جميع الأولاد من حوله أولاده ويعطف الله قلوبهم إليه كأنه والدهم .. وكأن الحق تبارك وتعالى يقول له : ما دُمْتَ رضيتَ بهبة الله لك فى العقم لأجعلنَّ كل ولدٍ ولداً لك .

ويُنهى الحق سبحانه الآية بقوله :

﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [النحل]

أى : من الذّكْران ؛ لأن الولد عِزْوة لأبيه ينفعه فى الحرب والقتال وينفعه فى المكاثرة .. الخ إنما البنت تكون عالةً عليه ؛ ولذلك قال تعالى بعد هذا :

(١) وذلك فى قصة موسى والخضر ، قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف] وقد علل الخضر هذا بقوله : ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الكهف] .

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

نعرف أن البشارة تكون بخير ، فكان يجب عليهم أن يستقبلوها استقبالَ البشارة ، ولكنهم استقبلوها استقبال الناقمين الكارهين لما بُشّروا به ، فتجد وجه الواحد منهم .

﴿ مُسْوَدًّا .. ﴿٥٨﴾ ﴾ [النحل]

ومعنى اسوداد الوجه انقباضه من الغيظ ؛ لذلك يقول تعالى :

﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ.. ﴿٥٨﴾ ﴾ [النحل]

الكظم هو كَتْم الشىء .

ولذلك يقول تعالى فى آية أخرى :

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ .. ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران]

وهو مأخوذ من كَظْم القِرْبة حين تمتلىء بالماء ، ثم يكظمها أى : يربطها ، فتراها ممتلئة كأنها ستنفجر .. هكذا الغضبان تنتفخ عروقه ، ويتوارد الدم فى وجهه ، ويحدث له احتقان ، فهو مكظوم ممنوع أنْ ينفجر .

ثم يقول الحق سبحانه واصفاً حاله :

﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ[1] أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله تعالى :

﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ .. ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل]

أى : يتخفَّى منهم مخافَةَ أنْ يُقال : أنجب بنتاً .

﴿ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ .. ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل]

نلاحظ إعادة البشارة فى هذه الآية أيضاً ، وكأنه سبحانه وتعالى يُحنِّن قلبه عليها ، ويدعوه إلى الرِّفْق بها .

فهو متردد لا يدرى ماذا يفعل ؛ لذلك يقول تعالى :

﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ .. ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل]

أى : ماذا يفعل فيما وُلِد له . أيحتفظ به على هُونٍ - أى : هوان ومذلة - أم يدسُّه فى التراب - أى : يدفنها فيه حية ؟

﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النحل]

أى : ساء ما يحكمون فى الحالتين . حالة الإمساك على هُون ومذلّة ، أو حالة دَسِّها فى التراب ، فكلاهما إساءة . وكان بعض هؤلاء إذا وُلدتْ له بنت كرهها ، فإنْ أمسكها أمسكها على حال كونها ذليلةً عنده ، مُحتقرة مُهَانة ، وهى مسكينة لا ذنبَ لها .

---

(١) الهُون والهوان : الذل الشديد والخزى . [لسان العرب - مادة : هون] .

ولذلك ، فإن المرأة العربيــة التى عاصرتْ هذه الأحداث فطنَتْ إلى مـا لم نعرفـه نحن إلا قريباً ، حيـث اكتـشف العلم الحديث أن أمـر إنجاب الـولد أو البنت راجع إلى الرجل وليس إلى المـرأة .. وكان أبو حمزة كثيراً ما يتـرك زوجته ويغضب منها ، لأنها لا تلد إلا البنات .. فماذا قالت هذه المرأة العربية التى هجرها زوجها ؟ قالت :

مَا لأبى حمزةَ لاَ يأتينَا غَضْـبانَ ألاَّ نَلِـدَ البَنِينـا
تَاللَّهِ مَا ذَلكَ فِى أيْدينا فَنَحنُ كَالأرْضِ لغارسينا
نُعطِى لَهُم مِثْل الذِى أُعْطِينَا

والحق سبـحانه وتعـالى حينمـا يريد توازناً فى الكون يصنع هذا التوازن من خـلال مقتـضيات النفس البـشرية ، ومن مقـتضيـاتها أن يكون للإنســان جـاهٌ ، وأن يكون له عِـزٌ ، لكن الإنســان يخطىء فى تكوين هذا الجاه والعِزّ ، فيظن أنه قادر على صُنْع ما يريد بـأسبابه وحدها .

إنما لو علم أن تكوين الجاه والعِزّ بشىء فوق أسبابه هو ، بشىء مخلوق لله تعالى ، بقدر مخلوق لله تعـالى ، لو علم هذه الحقيقة لجاء المسألة من بابها .

ذلك لأن العــزة ليست بمـا تُـنجب .. العـزة هنا لله ولـلرسـول وللمؤمنـين ، اعتزّ هنا بعُـصْبـة الإيمان ، اعتـز بأنك فى بيئـة مؤمنة متكافلة ، إذا أصابك فيها ضَيْم(١) فزِع إليك الجميع .

---

(١) الضيم : الظلم أو الإذلال ونحوهمـا . ضامه : ظلمـه وأذله . [المعـجم الوجيـز ـ مادة : ضام] .

ولا تعتزّ بالأنسال والأنجال ، فقد يأتى الولد عاقًا لا يُسعف أبويْه فى شدة ، ولا يعينهما في حاجة ؛ ذلك لأنك لجأتَ إلى عَصَبية الدم وعَصَبيّة الدم قد تتخلّف ، أما عَصبيّة العقيدة وعَصَبيّة الإيمان والدين فلا .

ولنأخذ على ذلك مثالاً .. ما حدث بين الأنصار والمهاجرين من تكافل وتعاون فاق كُل ما يتصوره البشر ، ولم يكُنْ بينهم سوى رابطة العقيدة وعصبية الإيمان .. ماذا حدث بين هؤلاء الأفذاذ ؟

وجدنا أن العصبية الإيمانية جعلت الرجل يُضحّى بأنفَس شيء يضِنُّ به على الغير .. نتصور فى هذا الموقف أن يعود الأنصار بفضل ما عندهم من نعم على إخوانهم المهاجرين ، فَمنْ كانت عنده ركوبة أو منزل مثلاً يقول لأخيه المهاجر : تفضل اركب هذه الركوبة ، أو اجلس فى هذا المنزل .. هذا كله أمر طبيعى .

أما نعيم المرأة ، فقد طُبِع فى النفس البشرية أن الإنسان لا يحب أنْ تتعدّى نعمته فيها إلى غيره .. لكن انظر إلى الإيمان ، ماذا صنع بالنفوس ؟.. فقد كان الأنصارى[1] يقول للمهاجر : انظر لزوجاتى ، أيّهن أعجبتْك أُطلّقها لتتزوجها أنت ، وما حمله على ذلك ليس عصبية الدم أو عَصبيّة الجنس ، بل عَصبيّة اليقين والإيمان .

(١) أخرج الإمام أحمد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة ، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى ، فقال له سعد : أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلّونى على السوق ، فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح . أورده ابن كثير فى « البداية والنهاية » (٢٢٨/٣) والكاندهلوى فى « حياة الصحابة » (٣٦٣/١) .

ولذلك تنتفى جميع العصبيات فى قصة نوح ـ عليه السلام ـ وولده الكافر ، حينما ناداه نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ..(٤٣)﴾ [هود]

ويتمسك نوح بولده ، ويحرص كل الحرص على نجاته فيقول :

﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ .. (٤٥)﴾ [هود]

فيأتى فَصْلُ الخطاب فى هذه القضية :

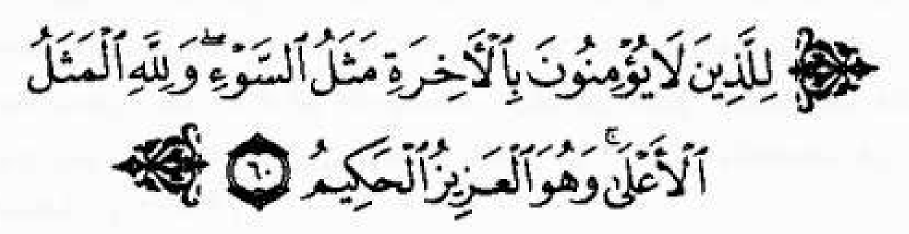
﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦)﴾ [هود]

إذن : هذا الولد ليس من أهلك ؛ لأن البُنُوة هنا بُنُوة العمل ، لا بُنُوة الدم والنَّسَب .

صحيح أن الإنسان يحب العزة ويطلبها لنفسه ، ولكن يجب أن تنظر كيف تكون العزة الحقيقية ؟ وما أسبابها ؟

خُذْ العزة بالله وبالرسول وبالبيئة الإيمانية ، يصبح كل الأولاد أولادك ؛ لأنهم معك فى يقينك بالله وإيمانك به سبحانه .. أما أن تعتز بطريقتك أنت ، فتطلب العزة فى الولد الذكَر ، فمَنْ يُدرِيك أن تجد فيه العزة والعزْوة والمكاثرة ؟!

ثم يقول الحق سبحانه :



قوله تعالى :

﴿مَثَلُ السَّوْءِ .. ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]

صفة السوء أي : الصفات السيئة الخسيسة من الكفر والجحود والنكْران ، ومن عَمَى البصيرة ، وغيرها من صفات السوء .

لماذا كان للذين لا يؤمنون بالآخرة مَثَلُ السوء ؟ لأن المعادلة التي أجْرَوْها معادلة خاطئة ؛ لأن الذي لا يؤمن بالآخرة قصّر عمره .. فعُمْر الدنيا بالنسبة له قصير ، وقد قلنا : إياك أن تقيسَ الدنيا بعمرها .. ولكن قِسْ الدنيا بعمرك أنت ، فعمر الدنيا مدة بقائكَ أنت فيها .. إنما هي باقية من بعدك لغيرك ، وليس لك أنت فيها نصيب بعد انقضاء عمرك .

إذن : عمر الدنيا عمرك أنت فيها .. عمرك : شهر ، سنة ، عشر سنوات ، مائة .. هذا هو عمر الدنيا الحقيقي بالنسبة لك أنت .

ومع ذلك ، فعمر الدنيا مهما طال مُدّتَه إلى زوال ، فَمنْ لا يؤمن بالله ولا يؤمن بالآخرة قد اختار الخاسرة ؛ لأنه لا يضمن أن يعيش في الدنيا حتى متوسط الأعمار .. وهَبْ أنك عشْتَ في الدنيا إلى متوسط الأعمار ، بل إلى أرذل العمر .. وهَبْ أنكَ استمتعتَ في دنياك بكل أنواع المعاصي ، ماذا ستكون النهاية ؟ أنْ تفوتَ هذا كله إلى الموت .

قارن - إذن - حال هذا بمَنْ آمن بالله وآمن بالآخرة .. نقول لمَنْ لا يؤمن بالآخرة : دنياك مظنونة ، يمكن أن تعيش فيها ، أو يعاجلك الموت .. حتى مَنْ عاش إلى متوسط الأعمار ، فالنهاية إلى زوال .

وما نِلْتَ من مُتَع فى دنياك أخذتها على قَدْر إمكاناتك أنت .

إذن : أنت أخذت صفقة محدودة غير مُتيقَّنة ، وتركتَ صفقة غير محدودة ومُتيقَّنة .. أليستْ هذه الصفقة خاسرة ؟

أما مَنْ آمن بالآخرة فقد ربحتَ صفقته ، حيث اختار حياة ممتدة يجد المتعة فيها على قَدْر إمكانات المنعِم سبحانه وتعالى .

إذن :

﴿مَثَلُ السَّوْءِ .. (٦٠)﴾ [النحل]

أى : الصفة شديدة السوء ، ذلك لأنهم خاسرون لا محالة .

وقوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى .. (٦٠)﴾ [النحل]

لله الصفة العليا ، وكأن الآية تقول لك : اترك صفة السوء ، وخُذ الصفة الأعلى التى تجد المتعة فيها على قَدْر إمكانات الحق سبحانه وتعالى .

ويُنهى الحق سبحانه الآية بقوله :

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)﴾ [النحل]

العزيز أى : الذى لا يُغلَب على أمره ، فإذا قيل : قد يوجد مَنْ لا يُغلب على أمره .. نعم ، لكنه سبحانه عزيزٌ حكيم يستعمل القهر والغلبة بحكمة .

ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾

قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ .. (٦١) ﴾ [النحل]

عندنا هنا : الأخْذ والمؤاخذة .. الأخْذ : هو تحصيل الشيء واحتواؤه ، ويدل هذا على أن الآخذ له قدرةٌ على المستمسك بنفسه أو بغيره ، فمثلاً تستطيع حَمْل حصاة ، لكن لا تستطيع حمل حجر كبير ، وقد يكون شيئاً بسيطاً إلا أنه مربوط بغيره ومستمسك به فيُؤخَذ منه قوة .

فمعنى الأخذ : أن تحتوى الشيء ، واحتواؤك له معناه أنك أقوى من تماسكه فى ذاته ، أو استمساك غيره به ، وقد يكون الأخْذ بلا ذنب .

أما المؤاخذة فتعنى : هو أخذ منك فأنت تأخذُ منه .. ومنه قَوْل أحدنا لأخيه « لا مؤاخذة » فى موقف من المواقف .. والمعنى : أننى فعلتُ شيئاً أستحق عليه الجزاء والمؤاخذة ، فأقول : لا تؤاخذنى .. لم أقصد .

لذلك ؛ فالحق تبارك وتعالى يقول هنا :

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ .. (٦١) ﴾ [النحل]

ولم يَقُلْ : يأخذ الناس .

وفى آية أخرى قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود]

لماذا أخذها الله ؟ أخذها لأنها أخذتْ منه حقوقه فى أن يكون إلهاً واحداً فأنكرتها ، وحقوقه فى تشريع الصالح فأنكرنها .

ويُبيِّن الحق سبحانه أن هذه المؤاخذة لو حدثت ستكون بسبب من الناس أنفسهم ، فيقول سبحانه :

﴿ بِظُلْمِهِم .. (٦١) ﴾ [النحل]

أول الظلم أنهم أنكروا الوحدانية ، يقول تعالى :

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) ﴾ [لقمان]

فكأنهم أخذوا من الله تعالى حقَّه فى الوحدانية ، وأخذوا من الرسول ﷺ ، فقالوا كذاب ، وأخذوا من الكتاب فقالوا « سحر مبين » .

كل هذا ظلم ..

فالحق تبارك وتعالى لو آخذهم بما أخذوا ، أخذوا شيئاً فأخذ الله شيئاً ، لو عاملهم هذه المعاملة ما ترك على ظهرها من دابة .

لذلك نجد فى آيات الدعاء :

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .. (٢٨٦) ﴾ [البقرة]

أى : أننا أخذنا منك يا ربّ الكثير بما حدث منّا من إسراف وتقصير وعمل على غير مقتضى أمرك ، فلا تؤاخذنا بما بدر منا .

فلو آخذ الله الناس بما اقترفوا من ظلم ..

﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ .. (٦١)﴾ [النحل]

قد يقول قائل : الله عز وجل سيُؤاخذ الناس بظلمهم ، فما ذنب الدابة ؟ ماذا فعلت ؟ نقول : لأن الدابة خُلقَتْ من أجلهم ، وسُخِّرتْ لهم ، وهى من نعم الله عليهم ، فليست المسألة إذن نكايةً فى الدابة ، بل فيمَنْ ينتفع بها ، وقد يُراد العموم لكل الخلق .

فإذا لم يؤاخذ الله الناس بظلمهم فى الدنيا فهل يتركهم هكذا ؟ لا بل :

﴿وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى .. (٦١)﴾ [النحل]

هذا الأجل انقضاء دُنيا ، وقيام آخرة ، حتى لو لم يؤمنوا بالآخرة ، فإن الله تعالى يُمهلهم فى الدنيا ، كما قال تعالى فى آية أخرى :

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ .. (٤٧)﴾ [الطور]

وقد يكون فى هذا الأجل المسمى خير للحق ، فكثير من الصحابة كانوا يدخلون المعارك ، ويُحبون أنْ يقتلوا أهل الكفر فلاناً وفلاناً ، ثم لا يتمكنون من ذلك ولا يصيبونهم ، فيحزنون لذلك .

ولكن أجَل هؤلاء لم يأت بَعْد ، وفى علم الله تعالى أن هؤلاء الكفار سيؤمنون ، وأن إيمانهم سينفع المسلمين ، وكأن القدر يدّخرهم : إما أنْ يؤمنوا ، وإما أن تؤمنَ ذرياتهم .

وقد آمن عمرو بن العاص ، وعكرمة بن أبى جهل وغيرهم . ومن هؤلاء الذين نَجَوْا كان خالد بن الوليد سيف الله المسلول .

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل]

أى : إذا جاءت النهاية فلا تُؤخَر ، وهذا شىء معقول ، ولكن كيف : ولا يستقدمون ؟ إذا جاء الأجل كيف لا يستقدمون ؟ المسألة - إذن - ممتنعة مستحيلة .. كيف إذا جاء الأجل يكون قد أتى قبل ذلك ؟ .. هذا لا يستقيم ، لكن يستقيم المعنى تماماً على أن :

﴿ وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النحل]

ليست من جواب إذا ، بل تم الجواب عند (ساعة) ، فيكون المعنى : إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، وإذا لم يجىء لا يستقدمون . والله أعلم .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ(١) أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله تعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ .. ﴿٦٢﴾ ﴾ [النحل]

---

(١) لا جرم : لا محالة ولا بُدَّ وتحولت إلى معنى القسم ، فصارت بمنزلة قولنا « حقاً » . [القاموس القويم ١/١٢١] .

الأليق أن الذى يُخرج لله يجب أن يكون من أطيب ما أعطاه الله ، فإذا أردت أن تتصدقَ تصدَّقْ بأحسن ما عندك ، أو على الأقل من أوسط ما عندك .. لكن أنْ تتصدَّق بأخسِّ الأشياء وأرذلها .. أن تتصدق مما تكرهه ، كالذى يتصدق بخبز غير جيد أوَ لحم تغيَّر ، أو ملابس مُهَلْهَلة ، فهذا يجعل لله ما يكره[1] .

والحقيقة أن الناس إذا وثقوا بجزاء الله على ما يعطيه العبد لأعطَوْا ربهم أفضل ما يُحبونَ .. لماذا ؟ لأن ذلك دليلٌ على حبِّك للآخرة ، وأنك من أهلها ، فأنت تعمرها بما تحب ، أما صاحب الدنيا المحبُّ لها فيعطى أقل ما عنده ؛ لأن الدنيا فى نظره أهمّ من الآخرة .

وبهذا يستطيع الإنسان أنْ يقيسَ نفسه : أهو من أهل الآخرة ، أم من أهل الدنيا بما يعطى لله عز وجل ؟

قوله تعالى :

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ .. (٦٢) ﴾ [النحل]

أى : مما ذكر فى الآيات السابقة من قولهم :

﴿ لِلَّهِ الْبَنَاتِ .. (٥٧) ﴾ [النحل]

وأن الملائكة بنات الله ، وجعلوا بينه وبين الجنَّة نسباً ، إلى غير ذلك من أقوالهم ، وجعلوا لله البنات وهم يكرهون البنات ؛ لذلك :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) ﴾ [النحل]

والمسألة هنا ليستْ مسألة جَعْل البنات لله ، بل مُطْلق الجَعْل

(١) يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ﴾ [البقرة] .

منهم مردود عليهم ، فلو جعلوا لله ما يحبون من الذكْران ما تُقبَل منهم أيضاً ؛ لأنهم جعلوا لله ما لم يجعل لنفسه .

فالذين قالوا : عزير ابن الله . والذين قالوا : المسيح ابن الله . لا يُقبَل منهم ؛ لأنهم جَعلوا لله سبحانه ما لم يجعلْه لنفسه ، فهذا مرفوض ، وذلك مرفوض ؛ لأننا لا نجعل لله إلا ما جعله الله لنفسه سبحانه .

فنحن نجعل لله ما نحب مما أباح الله ، كما جاء في قوله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ .. (٩٢) ﴾ [آل عمران]

وقوله :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ .. (٨) ﴾ [الإنسان]

ولذلك قال الحق سبحانه لرسوله ﷺ :

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) ﴾ [الزخرف]

فلو كان له ولد لآمنتُ بذلك ، لكن الحقيقة أنه ليس له ولد .. إذن : ليست المسألة في جَعْل ما يكرهون لله بل في مُطْلَق الجعْل ، ذلك لأننا عبيد نتقرّب إلى الله بالعبادة ، والعابد يتقرّب إلى المعبود بما يحب المعبود أن يتقرّب به إليه ، فلو جعل الله لنفسه شيئاً فهو على العين والرأس ، كما في أمره أن ننفق مما نُحب ، ومن أجود ما نملك .

ولذلك قوله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ .. (٩٢) ﴾ [آل عمران]

رَاعِ حق الفقير وضرورة أنْ تجعله كنفسك ، لا يكُنْ هيِّناً عليك فتعطيه أردأ ما عندك .. والحق تبارك وتعالى لما أراد أن نتقرّب إليه بالنّسُك وذَبْح الهَدْى والأضاحى قال :

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ﴾ [الحج]

لأنك إذا علمتَ أنك ستأكل منها سوف تختار أجود ما عندك .

وقوله تعالى :

﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ .. (٦٢) ﴾ [النحل]

الكذب : قضية ينطق بها اللسان ليس لها واقع فى الوجود ، أى مخالفة للواقع المشهود به من القلب .. ولماذا يشهد عليه القلب ؟

قالوا : لأنه قد يطابق الكلام الواقع ، ونحكم عليه مع ذلك بالكذب ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) ﴾ [المنافقون]

بالله ، أهذه القضية صدْق أم لا ؟ إنها قضية صادقة .. أنت رسول الله وقد وافق كلامهم ما يعلمه الله .. فلماذا شهد عليهم الحق تبارك وتعالى أنهم (كاذبون) ؟

وفى أىِّ شىء هم كاذبون ؟

قالوا : الحقيقة أنهم صادقون فى قولهم : إنك لرسول الله ، ولكنهم كذبوا فى شهادتهم :

﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ .. ① ﴾ [المنافقون]

لأنهم لا يشهدون فعلاً ؛ لأن الشهادة تحتاج أنْ يُواطئ القلبُ اللسانَ ويسانده ، وهذه الشهادة منهم من اللسان فقط لا يساندها القلب .

الإنسان عُرْضة لأنْ يقول الصدق مرة والكذب مرة ، لكن هؤلاء بمجرد أن يقولوا (نشهد) فهم كاذبون ، وهذا معنى :

﴿ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ .. ㉒ ﴾ [النحل]

لأنهم حينما يقولون مثلاً : العزير ابن الله ، المسيح ابن الله ، الملائكة بنات الله . هذه كلها قضايا باطلة ليس لها واقع يوافق منطوق اللسان .. فألسنتهم تصف الكذب .

وإنْ أردتَ أن تعرف الكذب الذى لا يطابق الواقع فاستمع إليه فبمجرد أنْ يُقال تعلم أنه كذب .. مثل ما حدث مع مُسْيلمة الذى ادَّعى النبوة ، مجرد أنْ قال : أنا نبى قلنا : مسيلمة الكذاب .

ويقول الحق سبحانه :

﴿ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ .. ㉒ ﴾ [النحل]

أى : أن الكذب فى قولهم (لهم الحسنى) فهذا اغترار وتمنٍّ على الله دون حق ، ومثل هذه المقولة فى سورة الكهف ، فى قصة أصحاب الجنتين ، يقول تعالى :

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ㉟ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ㊱ ﴾

[الكهف]

فهذه مقولات ثلاث كاذبة .

قوله :.

﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ [الكهف]

هذه الأولى ، فكم من أشياء تغيّرت ، ومَنْ يضمن لك بقاء ما أنت فيه ، والحق تبارك وتعالى يقول فى آية أخرى :

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا[1] مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ[2] ﴿٢٠﴾﴾ [القلم]

الكذبة الثانية :

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً .. ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف]

فقد أنكر الساعة .

الكذبة الثالثة :

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف]

وهذا هو الشاهد فى الآية هنا ، ففيها اغترار وتمنٍّ على الله دون حقٍّ ، كمن ادعوا أن لهم الحسنى ، وهم ليسوا أهلاً لها .

وفى موضع آخر تأتى نفس المقولة :

---

(١) الصَّرم : القطع مادياً ، كقطع الثمار . ويكون القطع معنوياً بمعنى الهجر وقطع صلة المودة . [القاموس القويم ١/٣٧٥] .

(٢) أى : احترقت فصارت سوداء مثل الليل . وقيل : الصريم أرض سوداء لا تنبت شيئاً . [لسان العرب ـ مادة : صرم] .

﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ .. (٥٠) ﴾ [فصلت]

وهكذا الإنسان في طَبْعه أنه لا يسأم من طلب الخير ، وكلما وصل فيه إلى مرتبة تمنَّى أعلى منها ، يقنط إنْ مسَّه شر ، وإنْ رفع الله عنه ورحمه قال : هذا لى .. أنا أستحقه ، وأنا جدير به .. الاَ قلتَ : هذا فضل من الله ونعمة ، ثم بعد ذلك هو يتمنى على الله الأماني ويقول :

﴿ إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ .. (٥٠) ﴾ [فصلت]

ويُرْوى أن سيدنا داود ـ عليه السلام ـ مع ما أعطاه الله من الملْك والعظمة أنه صعد يوماً سطح منزله ، فابتلاه الله بسِرْب من الجراد الذهب ، فحينما رآه داود جعل يجمع منه في ثوبه ، فقال له ربه : ألم أُغْنك يا داود ؟ قال : نعم ولكن لا غِنَى لى عن فضلك[1] .

وقوله تعالى :

﴿ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ .. (٦٢) ﴾ [النحل]

لا جرم : أى حقاً أن لهم النار على ما تقدم منهم أن جعلوا لله ما يكرهون ، وتصف ألسنتهم الكذب ، وهذه أفعال يستحقّون النار عليها .

وكلمة ﴿ لاَ جَرَمَ ﴾ منها جارم بمعنى مجرم ، فالمعنى : لا جريمة فى عقاب هؤلاء ، لأنه لا يُقال على عقوبة الجريمة أنها

---

(١) أورده البخارى فى صحيحه (٩٧٢) ، وأحمد فى مسنده (٤١٣/٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، ولكن فى حق أيوب عليه السلام وليس داود . والله أعلم .

جريمة .. إذن : لها معنيان ، لا بُدّ أن لهم النار ، أو لا جريمة فى أن لهم النار جزاء أعمالهم .

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢)﴾ [النحل]

جاءت فى كلمة مُفْرطون عدة قراءات[1] : مفرَطون ، مفرِطون ، مفرِّطون ، مفرَّطون . وجميعها تلتقى فى المعنى .

نحن حينما نصلى على جنازة مثلاً ، إذا كان الميت مكلّفاً نقول فى الدعاء له : « اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه .. اللهم إنْ كان مُحسناً فزدْ فى إحسانه ، وإنْ كان مُسيئاً فتجاوز عن سيئاته » . فإنْ كان صغيراً غير مُكلَّف قُلْنا فى الدعاء له « اللهم اجعله فرَطاً وذخراً »[2] . فما معنى فرَطاً هنا ؟

معناه : أن يكون الطفل فَرَطاً لأبويه ومُقدّمة لهما إلى الجنة .. يمرُّ بين يدىْ والديْه ويسبقهما إلى الجنة ، وكأنه يقدم عليهما ليُمهد لهما الطريق ليغفر الله لهما .. إذن : معنى مُفْرطون أى مُقدَّمون . ولكن إلى النار .

---

(١) قراءة (مُفْرَطون) : قراءة أبى عبيدة والكسائى والفراء ، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد . ومعناه : متروكون منسيون فى النار .
– قراءة (مفرِطون) : قراءة نافع فى رواية ورش ، وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس ، ومعناه : مسرفون فى الذنوب والمعصية أى : أفرطوا فيها .
– قراءة (مفرِّطون) : قراءة أبى جعفر القارىء . أى : مضيعون أمر الله ، فهو من التفريط فى الواجب . [ذكره القرطبى فى تفسيره ٣٨٤٦/٥] .

(٢) أورد البخارى فى صحيحه (٢٠٣/٣ ـ فتح البارى) كتاب الجنائز ـ باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة من قول الحسن البصرى : « يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ، ويقول : اللهم اجعله لنا فرطاً وسلفاً وأجراً » .